

اسم المادة: ما هو المعروف وما هو المنكر؟

من سلسلة: فقه الدعوة

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ما هو المعروف وما هو المنكر؟
من سلسلة: فقه الدعوة
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

نُذَكِّر أنفسنا وإياكم بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[1]، ويقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[2]، فيعني نستحضر النوايا إن احنا في هذه الساعة نتذاكر كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، وإن احنا يعني نتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– اللي ترك بيته واللي ترك شغله، واللي استقطع جزء من وقته لكي يسمع كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، يعني لا شك أن هذا محمود عند الله، وإن احنا بنعمل ده كله ونريد أن نتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى–. نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.
إن شاء الله النهاردة هنبدأ في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي رسالة جميلة نافعة، فيها معاني جليلة كبيرة، رسالة موجودة في كتاب الاستقامة، وكتاب الاستقامة من الكتب الجميلة لشيخ الإسلام، من أنفع الكتب؛ فيه قضايا عظيمة وفيه تقريرات كبيرة في مواضيع كتيرة من مواضيع الدين عمومًا، ومنها هذه الرسالة؛ تقرير جميل من شيخ الإسلام بيتكلم في أمر الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي موجودة في مجموع الفتاوى جزء منها، وبعض أهل العلم استخرجها وحققها وحدها، وده موجود في الرسالة التي بين أيدينا كنت بعت اللينك للناس، هي موجودة أيضًا على النت لها طبعات متفاوتة.

إن شاء الله نبدأ فيها بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–، هو شيخ الإسلام بيقول: فصلٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيقول: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله وهو من الدين، فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء"، هو بيقول إن ده عمل من أعمال الدين، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ده من

---

[1] حسنه الألباني
[2] صحيح مسلم



جملة تكاليف الدين، هذا أمر عظيم من أمور الدين، بل هو من ركائز الدين الإسلامي، يعني من الأشياء المهمة العظيمة في هذا الدين؛ مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مسألة الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

وتكلمنا قبل ذلك في مسألة أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والألفاظ المختلفة لهذا المعنى، "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ" النحل:١٢٥، سواء الدعوة، سواء النصيحة، سواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني فيه ألفاظ كثيرة جدًا؛ الموعظة الحسنة، الحكمة، يعني فيه ألفاظ كثيرة جدًا عُبِّرَ بها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هنا اللفظ العام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام هيفسره وهيقول إيه معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن هو الأول بيقرر تقرير أن هذا من الدين الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، إن ربنا -سبحانه وتعالى- أرسل الرسل ليه؟ ليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ليدعوا الناس إلى الله -سبحانه وتعالى-، ليعلموا الناس دين الله -سبحانه وتعالى-، ليزكوا الناس ويقربوا الناس من الله -سبحانه وتعالى-، ليبلغوا الناس دين الله -سبحانه وتعالى-، ليبلغوا الناس الحلال والحرام، فلولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما قامت الرسالة ولا بُعِثَ الأنبياء، الأنبياء بعثوا بالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

لو احنا النهاردة جينا عملنا استقصاء كده لوظائف الأنبياء، يعني النبي -صلى الله عليه وسلم- كان بيشتغل إيه؟ هل كان بيشتغل طبيب ولا مهندس ولا مدير ولا رئيس؟ النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يعمل داعي إلى الله -سبحانه وتعالى-، كان آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر. كذلك سائر الأنبياء كانوا يعملون في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، كانوا يعملون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهو بيقول أن هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، الله -سبحانه وتعالى- أنزل الكتب آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، الله -سبحانه وتعالى- أنزل الكتب وأمر الأنبياء بأن يأمروا الناس بهذه الكتب، وأمر الأنبياء أن يبلغوا الناس هذا الدين، فلولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما وصل الدين إلينا، ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما انتشر الدين، ولما قام صراع الحق والباطل، ولما كان هناك رسالة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا من أعظم الدين.

واحنا اتكلمنا في كذا درس عن مسألة فضل الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وكيف فضل الله -سبحانه وتعالى- هذا العمل من أعمال الدين، وكيف أن الله -سبحانه وتعالى- يثيب عليه ويعطي عليه ما لا يعطي على غيره.

وكان ابن القيم له كلام جميل في تفسير كلام شيخه شيخ الإسلام؛ ابن القيم تلميذ ابن تيمية، فكان بيتكلم على مسألة إن جميع الأنبياء أُمِرُوا بالجهاد بالكلمة، وبيتكلم إن الجهاد أنواع: جهاد السنان وجهاد الكلام، وإن جهاد الكلمة أعظم من جهاد السيف، مع إن ذروة سنام الإسلام الجهاد بالسيف، هو استدل بأن جميع الأنبياء أُمِرُوا بجهاد الكلمة، وجميع الأنبياء أُمِرُوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين إن الجهاد بالسيف لم يؤمر به جميع الأنبياء، يعني فيه بعض الأنبياء وده هيوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب.

هنا بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين، فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء، هنا بيوضح شيخ الإسلام بيقول: هو إيه الدين؟ احنا أُمِرْنَا إن احنا ندعو إلى الدين، طب هو احنا فاهمين يعني إيه الدين؟ هو بيتكلم إيه هو الدين؟ الدين هو الوحي. الدين هو رسالة الله -سبحانه وتعالى-. الدين: قال الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-. الدين هو البلاغ عن الله -سبحانه وتعالى-، وإقامة أمر الله -سبحانه وتعالى-، معرفة أمر الله -سبحانه وتعالى-، فهو بيقول إن رسالة الله -سبحانه وتعالى- إما إخبار وإما إنشاء.

يعني إيه إخبار؟ يعني ربنا -سبحانه وتعالى- بيخبرنا عن الأمم السابقة وهذا ليس فيه نسخ، النسخ اللي هو نسخ حكم بحكم "مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" البقرة:١٠٦، هنا الأخبار مفيش فيها نسخ، الأخبار دي اللي هي ربنا -سبحانه وتعالى- بيخبرنا عن



شيء، والخبر إما عن الله –سبحانه وتعالى–؛ يعني الله يخبرنا عن أسمائه عن صفاته عن أفعاله عن سننه في معاملة الخلق عن ثوابه عن عقابه، ربنا بيخبرنا عن شيء، وإما إنشاء.

فهنا بيقول إن رسالة الله –سبحانه وتعالى–، إن القرآن الكريم وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، الرسالة عمومًا، رسالة الله من السماء إلى الأرض، رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– فحوى هذه الرسالة إما إخبار وإما إنشاء.

الإخبار يعني ربنا بيخبرنا عن شيء، الخبر ده حاجة من اتنين: يا إما ربنا بيخبرنا عن نفسه اللي هو الله بيخبرنا عن أنه هو السميع أنه هو البصير أنه هو القوي أنه هو العزيز، يخبرنا أنه على كل شيء قدير، دي معلومة ده خبر، خبر احنا بنتلقاه، وإما إن ربنا بيخبرنا عن أحداث حصلت في الكون، إما الأحداث دي حصلت للأنبياء والمرسلين أو حصلت للمفسدين والفجرة والكفرة.

الإخبار إما خبر عن الله وإما خبر عن الخلق وإما خبر عن الكون. ده جزء من الرسالة، يبقى الرسالة إما إخبار يعني الله يخبر إما عن نفسه وإما عن الناس، اللي هي قصص القرآن اللي هو "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" يوسف:٣. القرآن فيه أحسن القصص، بعض أهل العلم حمل إن قصة يوسف هي أحسن القصص، وشيخ الإسلام رد على هذا الكلام وقال: لا، إن قصة سيدنا نوح أفضل من قصة سيدنا يوسف –عليه السلام–، لإن سيدنا يوسف كان غاية ما فيه أنه نبي حسده إخوته، لكن قوم نوح آذوه على الدين، عداوة إخوة يوسف ليوسف –عليه السلام– لم تكن عداوة شرعية إنما كانت عداوة نفسية، يعني هو واحد بيحسده هو مش زعلان منه عشان هو متدين، هو مش بيعاديه عشان الدين، "لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" يوسف:٨، هم شافوا إن سيدنا يوسف يلفت نظر أبيه اكثر من منهم.

لكن عداوة قوم نوح لنوح، عداوة عاد لهود، كانت على الدين، فهو هنا بيستدل على إن ليست قصة يوسف هي أروع القصص ولا أعظم القصص ولا أحسن القصص، وإن كان ده قول من أقوال أهل التفسير، إنما هناك من قصص القرآن ما هو أعظم وأجل من قصة يوسف –عليه السلام–. إن سيدنا يوسف كان النبي وهناك في القرآن قصص مرسلين والرسول أعلى من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، لكن قصص القرآن عموما هي أحسن القصص، "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ" يوسف:٣، إن كل قصص القرآن هي أفضل القصص، لإن فيها العبرة والعظة، يعني عارفين وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ، يعني واحد يقتص الآثار واحد بيمشي ويتتبعه، القصة هي الأحداث المتتابعة، فهنا بيقول أحسن القصص لأن فيها العبرة، لأنها متماسكة، لأنها جزلة الألفاظ، لأنها جزلة المعاني، لأنها قيمة، لأنها فيها الفائدة العظيمة بالألفاظ القليلة، لأن فيها أعظم البلاغ، لأن فيها تكرار للنماذج وأنماط البشرية.

هنا الإخبار اللي هو جزء من هذا الوحي فيه جزء إخبار عن الله –سبحانه وتعالى– وجزء إخبار عن المخلوقات أو جزء إخبار عن البشر اللي هي القصص.

يبقى بيقول: فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء. يعني إيه إنشاء؟ يعني شيء أنشأه الله، ده تقسيم الكلام في البلاغة يقولوا إما إخبار أو إنشاء في اللغة العربية، لإن الإنشاء اللي هو الأمر والنهي والإباحة وهنا دخل الإباحة في الإنشاء، يعني أنشأ حكم أنشأ أمر أنشأ نهي.

فهنا بيقول: إن الرسالة إما إخبار وإما إنشاء، الإخبار: إخبار عن نفسه –عز وجل– وعن خلقه، يبقى لو احنا هنقسمها كده تقسيمة يبقى الرسالة إما إخبار وإما إنشاء، لو جينا تحت كلمة إخبار هنشد السهم كده هيبقى إخبار عن الله –سبحانه وتعالى– أخبر الله عن نفسه، وإما إخبار عن خلقه، الإخبار عن نفسه زي التوحيد زي ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ" محمد:١٩، هنا ربنا بيخبرنا عن ذاته بيخبرنا أنه لا يعبد سواه، وأنه لا خالق إلا هو –سبحانه وتعالى–، اعلموا أن الله بكل شيء بصير، اعلموا أن الله على كل شيء قدير، اعلموا أن الله سميع بصير، هنا أمر بالعلم؛ إن يا جماعة العلم عن الله –سبحانه وتعالى– إخبار عن الله –سبحانه وتعالى–، إن احنا بنتعلم رسالة فيها جزء كبير جدًا كلام عن الله –سبحانه وتعالى–، وهذا أعظم ما تُكُلِم به، يعني بيقولوا شرف العلم بشرف المعلوم، وليس أعظم من الله –سبحانه وتعالى–، لذلك كانت أعظم العلوم، علوم الشرع وأعظم علم في علوم الشرع، علم التوحيد؛ العلم الذي يتكلم عن الله –



سبحانه وتعالى–، وطبعا ليس أفضل من الله –سبحانه وتعالى– يتكلم عن نفسه، لذلك كان أعظم كتب العقيدة على الإطلاق هو القرآن الكريم الذي علمنا عن الله –سبحانه وتعالى–.

فبيقول إخباره عن نفسه وعن خلقه، إخباره عن نفسه يعني ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر عن نفسه اللي هو التوحيد لله –سبحانه وتعالى–. والإخبار عن خلقه اللي هو القصص الذي يندرج فيها الوعد والوعيد. إن ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر عن قصص الناس الصالحين وقصص الناس المفسدين.

كان ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية بيتكلم يقول: إن فحوى الرسالة لو احنا عايزين نشوف القرآن؛ هو القرآن كتاب طب ولا كتاب جيولوجيا ولا كتاب تاريخ، فقال: أن هذا الكتاب العظيم كتاب الله –سبحانه وتعالى– يتكلم عن الله، وعن الطريق الموصلة إلى الله اللي هي إيه؟ اللي هي الحلال والحرام اللي هي أحكام في الطهارة وفي الصلاة وفي الصيام وفي الزكاة وفي الحج وفي الجهاد وفي العلاقات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية، اللي هي الكلام عن الله والكلام على الطريقة التي يحبها الله –سبحانه وتعالى– والأشياء التي لا يحبها الله –سبحانه وتعالى–، ثم الكلام عن ثواب الله وعقابه، يعني فحوى الرسالة هتتكلم هتلاقي فيه في الجنة، هتتكلم هتلاقي كلام عن النار، ثم بعد ذلك قصص الناس الذين أطاعوا الله –سبحانه وتعالى–، وكيف أثابهم الله، والناس الذين عصوا الله –سبحانه وتعالى– وكيف عاقبهم الله –سبحانه وتعالى– في الدنيا والآخرة؟ ده فحوى رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فهنا بيقول فالإخبار عن نفسه زي التوحيد، والإخبار عن خلقه مثل القصص الذي يندرج فيها الوعد والوعيد والإنشاء، اللي هو بقى الصنف التاني من الرسالة أو الجزء التاني من فحوى الرسالة اللي هي الإنشاء، إن الله –سبحانه وتعالى– أَمَرَ ونَهَى، إن ربنا –سبحانه وتعالى– أباح، في حديث كنا شرحناه في الأربعين النووية إن ربنا حد حدود وفرض فرائض ونهى عن أشياء، إن هناك فيه حاجة يا جماعة ربنا أمرنا إن احنا نعملها اسمها فرائض اسمها أمور شرعية واضحة واجبات علينا أن نفعلها، وفيه حاجات ربنا –سبحانه وتعالى– تركها لنا في المباح، يعني فيه مساحة كده ربنا قال لنا اعملوا فيها اللي انتم عايزينه بس ما تتعدوش الحدود دي، فرسم لنا حدود وداخل الحدود في إيه؟ في جزء مباح، وفي حاجات ربنا –سبحانه وتعالى– سكت عنها من غير نسيان، ليه؟ لأنها متغيره عبر الزمان، فربنا أراد رحمةً بالبشر إن الناس يعرفوا الأصول العامة فيها وبعد كده إيه؟ هم ينفذوها، يعني مثلًا لو جيتوا تشوفوا مش هتلاقوا مثلًا في طرق الحكم مثلًا آيات كثيرة جدًا، إنما هتجد مثلًا آيات عن العدل، هتجدوا إن مثلًا في طرق الزراعة مش هتجدوا آيات بتتكلم على طرق الزراعة، إنما هتجدوا آيات بتتكلم على أداء الحقوق في المعاملات المالية، هنا فيه حاجات يا جماعة متغيرات، هذه المتغيرات لأنها تتغير عبر الزمان والعالم بيتطور والعلوم الإنسانية بتتطور فتجد الإسلام وضع لك حدود بس، قيم واضحة عليك أن تتعامل بها، لكن فيه حاجات هتجد إن القرآن فصل فيها تفصيلات كبيرة جدًا عظيمة جدًا واسعة جدًا تفصيل اللي هو يعني تفصيل التفصيل، فتتعجب، هو ليه؟ لما جه في التجارة مافصلش التفاصيل دي؟ ليه لما جه في الحكم والسياسة ما فصلش التفاصيل دي، إنما وضع أصول عامة؟ ولما جه مثلًا في الطهارة ولا في أحكام الحيض والنفاس وأحكام الصلاة وأحكام الزكاة تجد تفاصيل التفاصيل، ليه؟ لأن هذه الأشياء لا تتغير عبر الزمان لإن ده اسمه مشترك إنساني، المشترك الإنساني؛ الإنسان مش فجأة يبقى قرد ولا هيتحول مثلًا شمبانزي ولا هيتغير يبقى نوع تاني من غير الإنسان، هو الإنسان هيفضل إنسان، هنا المشترك الإنساني تجد الشرع فيه فصل تفاصيل لإن هذه أشياء وأحكام لا تتغير عبر الزمان.



هنا شيخ الإسلام بيقول: إن فحوى الرسالة يا إما إخبار وإما إنشاء، وهذا كما ذكر في الحديث أن: "{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"[٣]، لتضمنها الثلث الذي هو التوحيد. يعني هو بدأ يقول إيه؟ بيستدل بقى شيخ الإسلام على إن التوحيد تلت الرسالة، بيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام–قال إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، يعني إيه تعدل ثلث القرآن؟ فقال: تعدل ثلث القرآن، يا جماعة قل هو الله أحد اسمها سورة الإخلاص، سورة قل هو الله أحد بتتكلم عن إيه؟ بتتكلم عن الله –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له، بتتكلم أنه هو الله أحد الله الصمد، الصمد الذي يصمد إليه الناس، الصمد اللي هو أعلى كل شيء، الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق عند الحاجات، الصمد الذي لا جوف له.

هنا شيخ الإسلام بيقول: إن النبي –عليه الصلاة والسلام–بيقول: "{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" معناه إن تلت معاني القرآن بيتكلم عن الله، يبقى هو بيقول: إن القرآن تلت بيتكلم عن الوعد والوعيد الجنة والنار، وتلت بيتكلم عن الأحكام، وتلت بيتكلم عن الله –سبحانه وتعالى–.

فبيقول لما النبي –عليه الصلاة والسلام–يقول: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن معناها إن تلت آيات القرآن تتكلم عن إيه؟ عن الله –سبحانه وتعالى–، لأنها سورة تتكلم عن الله "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" فلا يقاس على الله –سبحانه وتعالى–، ولا يقيس أحد الله –سبحانه وتعالى– على شيء من خلقه، الله ليس كمثله شيء، الله لم يلد ولم يولد، كل حاجة في الدنيا احنا نعرفها بتلد وتولد، الأفكار تتولد من أشياء والمخلوقات تتولد من مواد، النسل يتولد من الأصلاب، لكن الله –سبحانه وتعالى– وحده ليس كمثله شيء فلا أحد يقيس على الله –سبحانه وتعالى–، فالله ليس في عزته أحد، وليس في قوته أحد، وليس في قهره أحد، وليس في جبروته أحد، وليس في ملكه أحد –سبحانه وتعالى–، بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير ليس كمثله شيء، "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" كفوا يعني مكافئ لله –سبحانه وتعالى– أو كفوا يعني شبيه أو شريك لله –سبحانه وتعالى–، فليس هناك أحد يشترك مع الله –سبحانه وتعالى–، ولا يشرك الله –سبحانه وتعالى– في ملكه أحد ولا في حكمه أحد –سبحانه وتعالى– الفرد الصمد الذي يَحكم ولا يُحكم.

فهنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير؛ الأول إن الرسالة عبارة عن إخبار أو إنشاء وإن الإخبار ده إخبار عن الله –سبحانه وتعالى–، وإن ده تلت الوحي، تلت المصحف يتكلم عن الله –سبحانه وتعالى–، وده يا جماعة حاجة مهمة تخلينا نقف مع أنفسنا وقفة مهمة احنا يا ترى حالنا إيه مع أسماء الله الحسنى؟ احنا علاقتنا إيه بمعرفة الله –سبحانه وتعالى–؟ لما نقول احنا بنحب ربنا، هو احنا نعرف إيه عن ربنا؟ الحب فرع المعرفة، يعني أنا عشان أقول أنا بحب ربنا –سبحانه وتعالى– أنا محتاج أكون بأقرأ عن الله، محتاج أكون أعرف عن الله، محتاج أعرف صفاته وأسماءه ومعاملاته، محتاج أعرف كلامه. فلانة عرفت فلانة عرفتها منين؟ والله اتعاملت معاها والله سمعت عنها والله قرأت لها فهي بدأت تعرف عنها.

احنا النهاردة بنقول المسلمين يعرفون عن ربهم، ما الذي يعرفه المسلمون عن ربهم؟ محتاجين نعرف عن الله –سبحانه وتعالى–؟ وخصوصا إن دي مسألة مهمة جدًا في كتاب الله –سبحانه وتعالى–، يعني قلما تجد آية في كتاب الله إلا وهي مذيلة باسم من أسماء الله الحسنى، احنا حالنا إيه مع أسماء الله الحسنى؟ حالنا إيه مع صفات الله؟ حالنا إيه مع سنن الله في معاملة الخلق؟ فيه سور كاملة في القرآن بتتكلم عن كيف يتعامل الله –سبحانه وتعالى– مع خلقه، إن ربنا –سبحانه وتعالى– مش بيتعامل مع الخلق كما معاملة الخلق لبعضهم لبعض، إنما الله –سبحانه وتعالى– العلي الكبير المتعال الله –سبحانه وتعالى– الذي يتعالى على خلقه، الله العلي الأعلى الذي هو أعلى من كل شيء، ربنا –سبحانه وتعالى– ما بيتعاملش معنا بمعاملتنا، ربنا –سبحانه وتعالى– كبير الأكبر –سبحانه وتعالى–.

[٣] صحيح مسلم





فهنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير؛ إن تلت القرآن بيتكلم عن الله، وبيستدل بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، قال: لأن القرآن توحيد وأمر وقصص، بدأ يقول بقى إيه؟ هنا القرآن عبارة عن إيه؟ تلات اتلات، التلت الأولاني بيتكلم عن الله -سبحانه وتعالى-، التلت التاني بيتكلم عن الأمر والنهي، التلت التالت بيتكلم عن القصص.

قال: وقوله -سبحانه وتعالى- في صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث زي في سورة الأعراف؛ في قول الله -سبحانه وتعالى- بعد قوله: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" الأعراف:١٥٦، ربنا -سبحانه وتعالى- الآية اللي بعدها قال: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" الأعراف:١٥٧، هنا ربنا -سبحانه وتعالى- ذكر صفة من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم-، ربنا ذكر الأول رحمته وإن رحمة ربنا -سبحانه وتعالى- وسعت كل شيء، لكن مين اللي هينال رحمة الله -سبحانه وتعالى-؟ الذين يتقون ويؤتون الزكاة، الناس اللي بتتقي ربنا -سبحانه وتعالى- أولئك سيرحمهم الله، مين اللي ربنا هيرحمه؟ مش الناس اللي كفرت بالله -سبحانه وتعالى- والناس اللي مش مؤمنة بربنا -سبحانه وتعالى-، إنما ربنا هيرحم اللي آمن بالله، اللي آمن برحمة الله، اللي آمن أنه لا إله إلا الله، اللي آمن أن الله يعامله، يعني فيه واحد مش مؤمن بوجود ربنا أصلًا، ربنا هيرحمه في إيه؟ هو أصلًا إذا كان هو مش مؤمن بإن فيه رحمة أصلًا هيرحمها في الآخرة، فهنا ربنا -سبحانه وتعالى- بيذكر لنا من الذي سيرحمه الله -سبحانه وتعالى-؟ ثم ذكر الله الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، إن مين اللي هيرحمهم ربنا؟ اللي هم يتبعون الرسول النبي الأمي، اللي هو مين؟ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ هو رسول نبي أمي مكتوب في التوراة والإنجيل، إيه صفته؟ يعني إيه صفة هذا الرسول؟ معروف بإيه؟ قال: يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ هنا الآية دي شيخ الإسلام هيقف معاها وقفة جميلة في مسألة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، هذه صفة مميّزة للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب سؤال، طب ما هو سيدنا موسى صفته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب ما سيدنا عيسى صفته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب ما سيدنا هود صفته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب ما سيدنا نوح صفته إن هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لكن هناك ميزة خاصة، خصيصة خاصة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الآية، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، قال: هذا بيان لكمال رسالته -صلى الله عليه وسلم-. فإنه -صلى الله عليه وسلم- هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب وحرم كل خبيث، هنا يا جماعة تقرير عظيم من التقارير التي قررها شيخ الإسلام، وهو يتكلم عن خصيصة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، مميزة له عن باقي الأنبياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إيه هي؟ إن النبي -عليه الصلاة والسلام- أمر بكل معروف في الدنيا، وأنه نهى عن كل منكر في الدنيا، طيب ما كل نبي من الأنبياء أمر بكل معروف في الدنيا، يقول: لأ، كل نبي أمر بكل معروف كان يناسب قومه، وكل نبي نهى عن كل منكر في شريعته الخاصة بقومه.

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: فضلت على الأنبياء بإيه؟ بست، منهم إيه؟ أنه كل نبي بعث إلى قومه وبعثت للناس كافة، النبي -عليه الصلاة والسلام- ميزته أنه كل المعروف على الإطلاق أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكل المنكر على الإطلاق نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، إما تصريحًا وإما إشارةً وإما معيارًا، يعني وضع قاعدة الناس تقيس عليها بعد كده الحاجة اللي جاية بعد كده، لو طلعت على هذا المعيار تبقى هي منكر يبقى هي إيه؟ يقاس عليها، فهنا بيقرر إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في هذه الرسالة؛ في رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر مختلف، ودي نقطة مهمة جدًا ينبغي أن يستشعرها أهل الدعوة إلى الله، فيه أحيانًا بعض الناس وهي بتدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- هو بيبقى عنده نوع من أنواع الانهزام النفسي، يعني مثلًا هو متخيل مثلًا إن اليهود لهم رب والمسلمين لهم رب والربين

بيتخانقوا على ملك الكون مثلًا؟ أو مثلًا إن الأفارقة لهم رب والأمريكان لهم رب وبيتخانقوا على مين يعبد مين؟ يا جماعة الموضوع مش كده خالص، الله –سبحانه وتعالى– هو خالق كل شيء، الله –سبحانه وتعالى– هو رب العالمين، الله –سبحانه وتعالى– هو إله العالمين.

هذه الرسالة هي رسالة الحق، هذه الرسالة هي الرسالة الوحيدة الحق في هذا الزمان، إن ينبغي على أهل الإسلام أن يعرفوا أن الحق كل الحق في دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأن كل ما سوى ذلك باطل، هنا فيه فرق كبير مهم واضح جلي إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث لما حُرِّفَت الرسالات، حُرِّفَت الرسالات يعني التوراة مش حُرِّفَت من سنتين ولا حُرِّفَت من مائة سنة، التوراة حُرِّفَت قبل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–، الإنجيل مش حُرِّفَ من ألف سنة، الإنجيل حُرِّفَ قبل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، أهل الكتاب من بني إسرائيل حرفوا الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به واشتروا به ثمنا قليلا، وجعلوا الكتاب قراطيس، يعني قسموا التوراة والإنجيل، وبقوا إيه؟ يشوفوا الحاجة اللي الناس بتحبها، يطلعوها للناس يقول لك أيوه هو ده الدين، عارفين الدين اللي ما يطلبه المستمعون، الدين على هوى الناس، الدين على أفكار الناس مش على مراد الله –سبحانه وتعالى–، هو ده بقى اللي بدأوا يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا، هنا ربنا –سبحانه وتعالى– نظر إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم، فأذن الله في بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي استبدال بني إسرائيل، بني إسرائيل اللي هم الناس اللي ربنا –سبحانه وتعالى– أعطاهم الرسالة وفضلهم على العالمين "يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" البقرة:٤٧، هؤلاء الذين توارثوا النبوة والكتاب والحكم والرسالة مئات السنين من أول سيدنا إسرائيل –سيدنا يعقوب–، وبعد كده سيدنا يوسف والأسباط، وبعد كده سيدنا موسى وهارون، وبعد كده سيدنا داود وسليمان، وبعد كده سيدنا يحيى وزكريا وعيسى ابن مريم، وكانت هذه نهاية رسالة بني إسرائيل، ثم انتقلت الرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، لما تخلت بنو إسرائيل عن رسالة الله، استُبْدِلُوا، اللي هو "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" محمد:٣٨، أنهم لما لم يقوموا بحق الله –سبحانه وتعالى– استبدلهم الله –سبحانه وتعالى–، فأذن الله ببعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان من صفات النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه تحمل الرسالة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، طيب الطيبات ما أمر الله به –سبحانه وتعالى– وجعله طيبًا، والخبائث ما نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه، قال: فأحل كل طيب وحرم كل خبيث، كلمة كل دي يا جماعة حطوها بين قوسين حطوا عليها علامة، اللي هو إيه؟ اللي هو أحل كل طيب. أنه ما من شيء أحله الشرع إلا وهو طيب، وما من شيء نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه إلا وهو خبيث، وأن الله –سبحانه وتعالى– ما من شيء أمر به إلا وهو معروف وما شيء ما من شيء إلا ونهى الله عنه إلا وهو منكر. أحل كل المعروف، ونهى عن كل المنكر، وأمر بكل طيب ونهى عن كل خبيث.

قال: ولهذا روي عنه أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ"[٤]، هنا شيخ الإسلام بيقول: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– بُعِثَ ليتم مكارم الأخلاق، يعني إيه يتمم مكارم الأخلاق؟ يعني بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– لم تكن إنشاء للأخلاق، إنما كانت تمام لهذه الأخلاق، وده ميزة أخرى من ميزات أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– ونهي النبي –صلى الله عليه وسلم– أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ليه؟ إن دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– ليست فقط دعوة عالمية وأنه تم فيها إرساء القواعد الأصيلة الصحيحة التي يستقيم جميع البشر عليها، وأن العالمين كلهم يحتاجون إلى هذه الرسالة ويحتاجون أن يعرفوا أخبار هذه الرسالة؛ الأخبار عن الله، والأخبار عن سنن الله في المعاملة، والأخبار عن صفات الله –سبحانه وتعالى–، والأخبار عن ثواب الله ووعده، والأخبار عن عقاب الله ووعيده، وأنهم كلهم يحتاجون إلى إن يأخذوا العبرة والعظة من هذه الرسالة، من القصص التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى–، قصص الأنبياء وقصص الصالحين وقصص المفسدين فرعون وهامان وقارون وقوم عاد وقوم ثمود التي لم يخلق مثلهم في البلاد وكيف عاقبهم الله –سبحانه وتعالى–، وأن كل

[٤] السلسلة الصحيحة



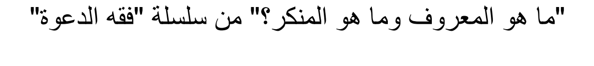
الناس يحتاجون إلى أمر الله –سبحانه وتعالى–، محتاجين يعرفوا ازاي يصلوا، وازاي يصوموا، وازاي يزكوا، وازاي يحجوا، وازاي يتعاملوا مع بعض، وازاي يأدوا حق الوالدين وحق الزوجة وحق الأبناء، وازاي الزوجة تؤدي حق الزوج، وازاي يتعاملوا بالتجارة، وازاي الربا حرام وايه معنى الربا، ويعرفوا ازاي يتعاملوا في الأراضي الزراعية، وازاي يحكموا، وازاي يقيموا العدل بينهم، وازاي يبقى معيار الحق والباطل هو "وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" الإسراء:٣٥، يحتاجون إلى أن يعرفوا معيار العدل، لإن كل واحد بيرى العدل على طريقته، كل واحد يرى نفسه هو العدل، ازاي هو يعرف يقيم العدل على المعيار الصحيح؟ زي يشوف الحاجة صح، اللهم أرنا الحق حق وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه.

هنا بيقرر شيخ الإسلام معنى آخر: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا من تمام الأخلاق، يعني إيه من تمام الأخلاق؟ أو أنه جاء بتمام الأخلاق، تمام الأخلاق يعني حاجة مكملة للأخلاق، يعني بدونها تفضل الدنيا ناقصة، وهو ده الحاجة اللي بها تمت الرسالة، تمت رسالة السماء إلى الأرض، تمت الأخلاق، لذلك لما سيدنا عيسى ينزل آخر الزمان سيدنا عيسى هيحكم بالقرآن، سيدنا عيسى هيصلي وراء رجل تابع من أتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال كرامة للنبي –صلى الله عليه وسلم–.

هذه الرسالة العظيمة رسالة القرآن يا جماعة لم يستطيع أي نبي من الأنبياء أن يتحملها "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل:٥، الوحيد الذي تحمل هذه الرسالة عبر الزمان والذي لم يستطع أحد من البشر أن يتحمل رسالة القرآن إلا النبي –صلى الله عليه وسلم–، لذلك كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أفضل مشى على الأرض، أفضل الأنبياء والمرسلين جميعًا، لأنه تحمل رسالة لم يستطع أن يتحملها أي أحد قبل النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قال في الحديث المتفق عليه: "إنما مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فكان الناس يطيفون بها ويعجبون من حسنها، ويقولون لولا موضع اللبنة! فأنا تلك اللبنة"[٥]، شوفوا يا جماعة شوفوا بقى نفسية الداعية، شوفوا قد إيه النبي –صلى الله عليه وسلم– متواضع، شوفوا قد إيه النبي –عليه الصلاة والسلام– ينظر إلى دعوة الأنبياء من قبله والتكامل، احنا النهاردة لما بنشوف داعي إلى الله مثلًا ربنا فتح عليه في باب من الأبواب وهو بيتكلم في هذا الباب هو فعلا فارس في ميدانه، هو فعلا قوي في بابه، لكن هل معنى ده إن هو الوحيد في هذا الباب؟ هل معنى ده إن الباب ده أصلًا هو الباب الوحيد في الدين؟ فيه قاعدة كده خلينا نحط تحتها خط لست الوحيد على الثغر، وليس هذا هو الثغر الوحيد، انتِ مش انتِ الوحيدة اللي بتعلمي الناس الدين؟ ولا انت الوحيدة اللي بتعلمي الناس قرآن، وتعليم الناس القرآن أو تعليم الناس الدين في الباب اللي انت واقفة عليه مش هو الدين كله، شوفوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول وهو بيوضح لأصحابه، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي –بيقول لهم أنا والأنبياء احنا الاتنين بنبني في بيت واحد، احنا الاتنين بنبني نفس البيت، كل واحد له وظيفة، والأنبياء اللي قبلي بنوا البيت كله لكن البيت فيه حاجة ناقصاه، إيه الحاجة اللي ناقصاه؟ موضع طوبة، لكن هذا الموضع هو الذي يتم به البناء، ويا جماعة التمام من أعظم الأشياء التي يحبها الله –سبحانه وتعالى–، يعني "ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ" البقرة:١٢٤، إن ربنا –سبحانه وتعالى– بيحب التمام، يحب الإنسان يتم عمله، عايزين نطلع النهاردة بمسألة التمام، إن احنا لما تبدئي في كتاب أتميه، لما تبدئي في درس أتميه، لما تبدئي بسلسلة أتميها، لما تبدأ في حاجة خلصها، بلاش نبقى قاعدين نتنطط من هنا لهنا لهنا ولا نتم شيء، وبلاش نتعامل مع الدين بنوع من أنواع العشوائية واحنا قاعدين مراهقين، اللي هو قاعدين إيه؟ لا بنخلص ولا نبطل تنطيط، شوف النبي –عليه الصلاة والسلام–وهو بيتكلم عن هذه الرسالة بيقول أن هذه تمام رسالات الأنبياء، يعني هي الرسالة الخاتمة التي ختم الله بها الأنبياء، ودايمًا الخاتمة بتبقى خاتمة بها يتم البناء، يعني بدون الخاتمة مش هيبقى فيه بناء.

[٥] روايات الحديث هنـــا




هنا النبي –عليه الصلاة والسلام–بيقول: مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها، إن الأنبياء عملوا بناءهم على أكمل وجه، لكن رسالة الله إلى الأرض لم تتم، كيف تتم رسالة الله إلى الأرض؟ ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تحمل ما لا يتحمله أحد، النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، الذي أوذي إيذاء لم يؤذه أحد، والذي عبد الله عبودية لم يعبدها أحد، لم يعبد أحد الله –سبحانه وتعالى– كمثل النبي –صلى الله عليه وسلم–، لم يحقق التقوى أحد مثلما حقق النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ألا وأني أتقاكم لله، ألا وأني أخشاكم لله، قال لهم لو انتم بتتكلموا عن التقوى والخشية فأنا واحد عشت عمري منذ بداية البعثة أو منذ رسالة الله –سبحانه وتعالى– إلي، النبي –عليه الصلاة والسلام– آمن، فلما آمن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أعلى الناس إيمانًا، لو وضع إيمان النبي –صلى الله عليه وسلم– في كفة ووضع إيمان الأمة في كفة –كما في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: لرجح إيمان النبي –صلى الله عليه وسلم–، يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– حقق أعلى درجة من درجات العبودية عبر التاريخ، يعني حقق درجات من الدرجات العبودية، سيدنا إبراهيم نفسه ما عرفش يجيبها، سيدنا موسى ما عرفش يجيبها، سيدنا عيسى دول أولي العزم من الرسل، النبي –صلى الله عليه وسلم– حقق أعلى درجة من درجات العبودية لله –سبحانه وتعالى–، لذلك احنا أُمرنا أن نحب النبي –صلى الله عليه وسلم– ونحب سائر الأنبياء، وأن نؤمن بالنبي –صلى الله عليه وسلم– ونؤمن بسائر الأنبياء، ولكن أن يكون حب النبي –صلى الله عليه وسلم– في قلوبنا أكبر من حب باقي الأنبياء لأنه أعبد الخلق إلى الله، لأنه أحب خلق الله إلى الله –سبحانه وتعالى–.

شيخ الإسلام هنا أحسن إن هو لما جه يتكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ناحية النبي –عليه الصلاة والسلام–:

– الحاجة الأولانية اللي تكلم فيها قال إن صفة النبي –عليه الصلاة والسلام– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند النبي –عليه الصلاة والسلام– مختلف لأنه أمر بكل معروف على مستوى العالمين في كل زمان ومكان، ونهى عن كل منكر عبر الزمان.

– ثم الحاجة الثانية إن النبي –عليه الصلاة والسلام–بعث ليتم مكارم الأخلاق، إن مسألة إن النبي –عليه الصلاة والسلام–كان تمامًا وختامًا وإكمالًا لرسالة الأنبياء من قبله.

وشوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيتكلم عن مساحة التكامل، إن احنا يا جماعة محتاجين نفهم ده، محتاجين نفهم إن احنا كل واحد شغال في الدين محتاج للتاني، إن الدين مش هيكون بالجماعة الفلانية، النهاردة احنا ممكن لما نجلس مع بعضنا البعض ونشوف حوارات الدعاة في الأروقة الداخلية، وتلاقي لفلان يقول لك أصل فلان مش معانا، وأصل فلان ما بيعملش حاجة، وأصل ده عمل مجهود فردي ما لوش قيمة، تجد الجماعة الفلانية بتسفه من الجماعة الفلانية، والهيئة الرسمية بتسفه من الهيئة غير الرسمية، والهيئة غير الرسمية بتسفه من الهيئة الرسمية، والشيخ فلان بيسفه من الشيخ علان، والشيخة فلانة بتسفه من الشيخة علانة، والمعلمة الفلانية بتحتقر فلانة، والمعلم الفلاني شايف إن هو الوحيد اللي في الكون ينبغي أن يُسمع وكل من سواه يا إما ضال يا إما مضل يا إما مبتدئ يا إما عنده مشاكل يا إما مش على المنهج يا إما عنده أخطاء، وكأنه نزل معصومًا من السماء.

شوفوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيتكلم على سائر الأنبياء بيقول إيه؟ بيقول أنا جيت أكمل؛ أنا جيت أكمل رسالة سابقة. إن يا جماعة محتاجين يبقى عندنا الروح دي، يبقى عندنا دي النفسية دي، "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا" الحشر:١٠، مش عايزين يبقى عندنا غل للمؤمنين، ولا للناس العاملين للدين، ولا للشيوخ اللي علموا الناس الدين، ولا للناس اللي بذلت أعمارها تعلم الناس الدين رجالًا أو نساءً، كبارًا أو صغارًا، محتاجين إن احنا نكون عندنا نفسية حب الله –سبحانه وتعالى–، نفسية التواضع، نفسية الخوف من الله –سبحانه وتعالى–، نفسية إن كل واحد فينا له دور وإن كل واحد بيجتهد غاية اجتهاده، وان احنا كلنا محتاجين بعض، وإن احنا كلنا بنكمل نفس البناء، شوف النبي –عليه الصلاة والسلام–بيقول: –والنبي –عليه الصلاة والسلام–



بلا خلاف، هو سيد ولد آدم بلا خلاف– وهو يقول: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، أنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر، أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر"[٦]، والنبي –عليه الصلاة والسلام– صاحب الشفاعة الكبرى، ومع ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: إنما أنا لبنة، لولا موضع لبنة فأنا تلك اللبنة، بيقول: أنا ومثل الأنبياء من قبلي إن أنا طوبة في البناء، خدوا بالكم النبي –عليه الصلاة والسلام– ما قالش أنا البناء كله، احنا النهاردة ممكن تسمع من أحد الناس إلا ما رحم الله وبعض الناس ممكن يقول ويتخيل نفسه يقول لك: أنا الدين، يا عم انت مش الدين، صدقني انت مش الدين، انت راجل بتنفذ بعض الأشياء في الدين ربنا –سبحانه وتعالى– أنعم بها عليك، وعلمك أشياء وجميل إنك انت تنفذها وجميل إن انت تطبقها وجميل انك تدعو الناس إليها، وجميل انك توضح للناس وإنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وإنك تنصح، لكن انصح بنفسية الناصح، شوفوا نفسية النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيقول إنما أنا لبنة، فأنا تلك اللبنة، إن احنا يا جماعة محتاجين هذا التواضع في الدعوة إلى الله، محتاجين هذا التواضع في وسط العاملين للدين، محتاجين هذه النظرة الشمولية للدين، إن الدين محتاج فقه، ومحتاج عقيدة، ومحتاج تفسير، ومحتاج سيرة، ومحتاج تزكية، ومحتاج مصاحبة، ومحتاج شباب بيشتغلوا في الدين، ومحتاج سياسة، ومحتاج اقتصاد، ومحتاج اجتماع، ومحتاج رجالة، ومحتاج نساء، ومحتاج شابات، ومحتاج عجائز، ومحتاج الحكمة، ومحتاج الناس الكبيرة، ومحتاج الناس الصغيرة، إن مفيش واحد في الدين ما لوش قيمة، ومفيش حاجة اسمها ثغر في الدين قليل، ومفيش حاجة اسمها أنا ماليش لازمة، كل الناس لها لازمة وكل الناس تقدر تعمل حاجة، وكل الناس تقدر تتفاعل مع هذا الدين.

قال: "فبه أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكل معروف والناهي عن كل منكر وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث"، فهنا بيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث ليُتمم مكارم الأخلاق، وبدأ شيخ الإسلام هنا يوسع مفهوم الأخلاق، فبيقول إن مفهوم الأخلاق هو إتمام الدين، وإتمام الدين منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عشان كده بعض أهل العلم كان بيقول الدين كله خلق، ليه الدين كله خلق؟ احنا دايما مفهومنا عن الأخلاق اللي هو السماحة، الحلم، الصدق، بذل الندى، وكف الأذى، الابتسامة، البشاشة، الصدقة، الإحسان، لكن هو هنا شيخ الإسلام بيتكلم على إن الخلق هنا مفهوم عام، إن هو وَسَّع مفهوم الأخلاق إن هو يكون الأخلاق مع الله، والأخلاق مع النفس، والأخلاق مع الخلق، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأخلاق، وإن تحليل الحلال وتحريم الحرام من الأخلاق، ما الذي يحلل حلاله ويحرم الحرام؟ الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "وأما من كان قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض الطيبات، كما قال: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء١٦٠:١٦١، هنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير إن النبي –صلى الله عليه وسلم– الله –سبحانه وتعالى– بعثه بالحلال والحرام، احنا يا جماعة النهاردة لما نيجي نشوف خريطة الحلال والحرام عندنا، خريطة الحلال والحرام في بيوتنا، خريطة الحلال والحرام في معاملاتنا، خريطة الحلال والحرام في أسواقنا في مدارسنا في جامعاتنا في مستشفياتنا في هيئاتنا الحكومية في الحكم في القضاء، خريطة الحلال والحرام مين اللي بيقرر الحلال والحرام؟ يعني مين اللي بيقول ده حلال وده حرام؟ احنا النهاردة عندنا تم –في بعض المجتمعات الإسلامية– استبدال لفظ الحلال والحرام بلفظ عيب وغلط، يعني مثلًا البنت ممكن تلبس لبس معين، في مجتمع معين، لكن في مجتمع تاني ده عيب، العيب والغلط بيختلف من مجتمع للتاني، يعني ممكن واحدة مثلًا لو لبست بنطلون قصير وخرجت به في شارع أمريكا ده مش عيب، عادي، لو جت في مثلًا القاهرة

---

[٦] بعض روايات الحديث هنـا



ولبست بنطلون قصير ده عادي ممكن الناس ما تعتبروش إن ده عيب، لو نزلت قرية من قرى مثلًا الفلاحين أو قرية من قرى الصعيد ولبست اللبس ده الناس هيقولوا عليها عيب، ده المفروض ما تلبسش اللبس ده.

العيب والغلط بيختلفوا من مجتمع للتاني، إن هي ممكن هناك تلبس لبس معين في المكان الفلاني تلبس لبس معين، في المكان الآخر ممكن تلبس لبس معين، يعني لو شافوا واحدة لابسة كامل ثيابها في مثلًا في الساحل مثلًا لابسة نقابها في الساحل يختلف مثلًا عن لو شافوا مثلًا واحدة لابسة نقاب في الحرم، العيب والغلط بيختلف من مجتمع للتاني، ومن انتشار علم أو انحسار علم في مجتمع لآخر، من تفاوت الناس العلمي والاجتماعي والحياتي، لكن الحلال والحرام ده ثابت، الحلال والحرام ما بيتغيرش.

مين بقى اللي بيحط الحلال والحرام؟ مين اللي بيقول ده حلال وده حرام؟ اللي بيقول حلال وحرام الله –سبحانه وتعالى–، "وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ".

مين اللي بيبلغ عن الله –سبحانه وتعالى–؟ النبي –صلى الله عليه وسلم–.

مين اللي علمنا القرآن؟ النبي –صلى الله عليه وسلم–.

مين اللي علمنا الأحكام؟ النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فهنا شيخ الإسلام بيقول: إن الحلال والحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرسالات السابقة قبل النبي –صلى الله عليه وسلم–كان فيها نوع من أنواع الاختلاف عن رسالة النبي –عليه الصلاة والسلام–، إيه هي؟ إن يا جماعة فيه حاجتين ربنا أقرهم في الأمم السابقة لم تقر في هذه الأمة، إيه هي؟

الحاجة الأولانية إن أحيانًا إن كان ممكن واحد يُحرم على نفسه أشياء؛ فيقرها الله، زي مثلًا "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ" الحديد:٢٧، بعض الناس حرموا إن هم يتزوجوا النساء، وقال لك احنا هنترهبن وماعدش لنا علاقة بالنساء خالص، وهنقعد في المعابد نعبد ربنا –سبحانه وتعالى–، دي بدعة، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا هم اللي ابتدعوها من نفسهم، ولكن الله أقرها، فبقى فيه حاجة اسمها رهبان النصارى.

ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ" آل عمران:٩٣، إن سيدنا إسرائيل حرم على نفسه أشياء فأقرها الله، يبقى هنا الأمم السابقة كان متاح لهم إن ممكن حد يحرم على نفسه أشياء ويقرها الله –سبحانه وتعالى–. زي بني إسرائيل لما حرموا على نفسهم الإيه؟ السبت، صيد السبت. زي ما سيدنا إسرائيل –صلى الله عليه وسلم– حرم على نفسه إيه؟ بعض الطعام. زي ما بنو إسرائيل مجموعة منهم حرمت الزواج على أنفسها فأقرها الله –سبحانه وتعالى–، وبقى حاجة مطردة، فكان هنا الحرام فيه بعض الاختيارات لبعض الأقوام.

والنوع التاني: إن كان أحيانًا بينزل الحرام عقابًا لبعض الأقوام، قال –تعالى–: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء١٦٠:١٦١، إن بظلم منهم حرَّم الله عليهم أشياء. يبقى بعض الطيبات حرمت عليهم بإيه؟ عقوبة لهم.

يبقى يا جماعة مما تميزت به شريعة –صلى الله عليه وسلم– أنها أحلت كل معروف وأمرت به حتى مما كان قد عوقبت به الأمم السابقة، وحرمت كل منكر ونهت عنه حتى ما كان تحريما خاصا لبعض الأمم السابقة، حتى تركت الناس على الحلال والحرام دون أي قيود، هذا هو الحلال الذي يحبه الله، وهذا هو الحرام الذي يبغضه الله.



يبقى تحريم الأمم السابقة كان أحيانًا بيحرم بها بعض الطيبات، ويحرم الحرام إما عقوبة وإما باختيارات شخصية، لكن هذه الأمة مفيش فيها ده، إن الله –سبحانه وتعالى– جعل الحلال والحرام له –سبحانه وتعالى–، الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله، والدين ما شرع الله.

فهنا بيقول: "وأما من كان قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض طيبات كما قال –تعالى– عن اليهود: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ"، وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث، كما قال –تعالى–: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ"، وتحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر كما أن إحلال الطيبات يندرج في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا للرسول –صلى الله عليه وسلم–.

يبقى يا جماعة كلمة كل معروف وكل منكر دي من ميزات الرسالة الخاتمة، من ميزات القرآن الكريم وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، من ميزات رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فاهمين دي؟ طب احنا هنستفاد إيه من الكلام ده؟ هنستفاد إن احنا نبقى فاهمين احنا رسالتنا متميزة بإيه عن غيرنا؟ هنبقى فاهمين الفرق بين القرآن وغيره، هنبقى فاهمين الفرق ما بين دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– ودعوة غيره، هنبقى فاهمين الرسالة اللي احنا بين أيدينا هذا الكنز العظيم الذي يخاطب العالمين الفرق بينه وبين غيره، ودي نقطة يا جماعة محتاجين بها لما نيجي بعد كده نتكلم في حلال وحرام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ محتاجين نعرف هو إيه في الشرع؟ محتاجين نتناول الأمور تناول شرعي، محتاجين نرجع لكلام النبي صلى الله –صلى الله عليه وسلم– ونرجع لكلام الله قبل ما نقول حلال وحرام، لإن بعض الناس وبعض الدعاة إلى الله بينشر اختياراته هو الفقهية، بينشر اختياراته هو الحياتية، يعني هي مثلًا ست عندها نوع من أنواع الشدة نتيجة تربيتها نتيجة أفكارها نتيجة تعليمها نتيجة احتكاكاتها، فلما تيجي تعلم الناس الدين بتعلمهم الحاجة اللي هي شايفاها، يا جماعة احنا أُمرنا إن احنا نبلغ دين الله، مش نبلغ أفكارنا وخواطرنا وحياتنا، واللي احنا بنحبه واللي احنا ما بنحبوش، أُمرنا إن احنا نجعل الناس اتباع للنبي –صلى الله عليه وسلم–، مش اتباع لنا كأشخاص، مش اتباع لأفكارنا وآرائنا كأشخاص، إنما إن هم يكونوا أتباع للنبي –صلى الله عليه وسلم–، إن هم يحبوا الله –سبحانه وتعالى–، إن هم يمتثلوا أمر الله –سبحانه وتعالى–، وده يا جماعة من الحاجات اللي بقت تحديات في هذا الزمان، تحديات أمام كل الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– كبارًا وصغارًا.

إيه هو التحدي ده؟ التحدي ده، كان زمان كل شيخ بيكلم مجموعة من الناس في بيته في مسجده في جامعه في المجتمع اللي هو عايشه، النهاردة بعد التواصل الاجتماعي والفيس ومواقع التواصل، بقيت انت ممكن تسجل حاجة يسمعها رئيس الدولة، يسمعها رؤساء دول العالم، يعني النهاردة انت ما عدتش بتخاطب واحد، النبي –عليه الصلاة والسلام– كان زمان يقول من يحميني حتى أبلغ رسالة ربي، النهاردة انت ممكن تقول كلام؛ الكلام ده يسمعه العالمين، يعني كان زمان تقول أنا نفسي أوصل لواحد من الناس اللي بتعصي ربنا، انت النهاردة ممكن تكتب حاجة على موقع من التواصل الاجتماعي يسمعها كل الممثلين وكل المغنيين مش بس العرب؛ العرب والأجانب أفجر الفجرة ممكن يسمعوك في لحظة من اللحظات، الناس اللي بتعمل أفلام إباحية ممكن تسمعك. هنا انت خطابك لهؤلاء هيكون خطاب لإيه؟ هل يا ترى هو نفس الخطاب اللي انت بتخاطب به أو نفس اللي انت بتخاطبي به صاحبتك اللي كنت بتكلميها في معنى معين؟ الرسالة العالمية تحتاج منا إلى إن نكون على مستوى هذه الرسالة، واحنا بنكلم الناس عن الدين محتاجين نبقى فاهمين هو إيه الدين، محتاجين نبقى فاهمين الفرق بين من رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– وغيره، محتاجين نبقى فاهمين إيه الخطاب اللي يناسب العالمين، القرآن ما نزلش عشان ثلاثة أربعة يطبقوه، ولا عشان مجموعة من الناس تشيله، وتتكبر به على الخلق، إنما نزل القرآن نور وهدى ورحمة وبركة للعالمين.



يبقى شيخ الإسلام هنا بيقرر تقرير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر، واستدل بمسألة إن الأمم السابقة حُرِّمت عليهم بعض الطيبات ببعض الظلم وبأكلهم الربا، كانوا بياكلوا الربا، وكانوا بياكلوا أموال الناس بالباطل، وكانوا بيصدوا عن سبيل الله، فربنا حرم عليهم الطيبات، ودي يا جماعة من النقاط الأساسية في معاملة الله -سبحانه وتعالى-، إن أحيانًا ربنا -سبحانه وتعالى- يضيق علينا الطيبات بالمعاصي، يضيق علينا الطيبات بالمعاصي، واحد هيقول لي طب ما أنا بأشوف واحد كافر وفاجر وملحد ومن أغنى أغنياء العالم، أو واحد تقي ونقي وصالح وراجل في غاية الصلاح ولا نعلم عليه إلا خيرًا ومن أفقر الفقراء ويعيش في مرض وفقر، يا جماعة هنا نقطة مهمة جدًا جدًا محتاجين نتكلم فيها، إن الله -سبحانه وتعالى- له سنن لا تحابي أحد، إن سنة الرزق سنة عامة يعني ممكن تجد واحد في أفجر الفجور وهو غني جدًا ماليًا، يعني فرعون كان أعلى درجات السلطة كان بيقول: "مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي" القصص:٣٨، و"أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ" النازعات:٢٤، يعني ادعى الربوبية والألوهية، ودي ما حصلتش في البشري أصلًا، وقارون بغى عليهم ومع ذلك كان غني جدًا، وعلى الصعيد الآخر كان ممكن يكون واحد من أهل التقوى والصلاح غني جدًا زي داود وسليمان، "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ" ص:٣٦، "يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ" سبأ:١٠، "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ" النمل:١٧، إن واحد كان بيركب الريح، واحد كان بيأمر الشياطين، تخيلوا يا جماعة الشياطين بتعمل معابد، تخيلوا يا جماعة واحد عنده مُلك "كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ" ص:٣٧، سيدنا سليمان كان بيأمر الشيطان يقول له بقول لك إيه؟ روح اعمل المعبد ده، يقوم الشيطان يروح يعمل معبد عشان الناس تصلي فيه لله، متخيلين شيطان يبيني معبد، مين اللي عنده القوة دي، أحيانًا إن ربنا -سبحانه وتعالى- يُمَكِّن الصالحين والطالحين، سنة الله في الرزق ممكن تجد واحد فقير جدًا جدًا جدًا وهو تقي وممكن تجد واحد فقير جدًا جدًا وهو فاجر، وممكن واحد غني جدًا جدًا جدًا وهو فاجر، ممكن واحد غني جدًا جدًا وهو تقي، فهنا سنة الله في الرزق سنة مطردة، لكن هل معنى كده إن ربنا -سبحانه وتعالى- ما بيعاملش الناس بالطاعات والمعاصي؟ لأ، هذه السنة يُضاف إليها سنة أخرى؛ إن الإنسان بيُرزق بالطاعة، والإنسان بيُحرم بالمعصية، "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ" النحل:١١٢، ليه أذاقها الله لباس الجوع والخوف؟ لأنهم كفروا بأنعم الله.

خدوا بالكم إن ربنا عاملهم بالطاعات والمعاصي، وهذه سنة من سنن الله في المعاملة، فأحيانًا إنسان يُحرم عليه طيبات، ليه؟ بظلمه، أحيانًا تجد إن إنسان مثلًا يُحرم الرزق -والرزق يا جماعة مش معناه الفلوس بس، الرزق هو كل ما يُنتفع به- يُحرم الرزق بالذنب يصيبه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ما نزل بلاء بذنب ولا رُفِعَ إلا بتوبة، هذه من سنن الله في المعاملة، ده مش معناه إن كل واحد طائع هيبقى غني، لا، هو عادي ربنا -سبحانه وتعالى- يبتلي الناس بالفقر والغنى، وهيفضل الغني غني والفقير فقير، لكن هذا الفقير له مساحة يُعامل بها على قدر الطاعات وممكن برضه يظل فقير، وهذا الغني له مساحة يُعامل بها على قدر الطاعات والمعاصي وبرضه هيفضل غني، لأن سنن الله في البلاء متفاوتة، والله -سبحانه وتعالى- يداول بين الناس.

شيخ الإسلام بيقول: إن بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت متممة ومكملة للأمم السابقة، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- رسالته مختلفة عن كل الرسائل السابقة، أنها أحلت كل طيب وحرمت كل خبيث، وأمرت بكل معروف ونهت عن كل منكر.

النهاردة المجلس بيتكلم عن كلمة "كل"، يبقى مش أمر بمعروف عادي إنما أمر بإيه؟ بكل معروف، يعني إيه؟ يعني كل حاجة في ديننا لو ربنا أمر بيها تبقى فاهم إن ده فيه غاية النفع والصلاح في الدنيا والآخرة، عاجلًا وآجلًا، للفرد والمجتمع.

وإن كل شيء نهى الله -سبحانه وتعالى- عنه فإن هذا فيه مفسدة واضحة حتى ولو لم يراها الناس عاجلة وآجلة للفرد والمجتمع، في الدنيا والآخرة.

لإن أحيانًا بتجد حاجة فيها مصلحة؛ ممكن تكون مصلحة آنية يعني الآن، لكن فيها مصيبة بعد ذلك كبيرة، مصيبة بعد ذلك وبلاء وفساد كبير جدًا ممكن يكون في الآخرة، وممكن يكون الضرر على المجتمع كبير، لذلك كل ما أحل الله هو من الخير، وكل ما حرم الله هو من الشر.



قال –تعالى–: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" المائدة:٣، هنا يا جماعة تلات أفعال: أكملت، أتممت، رضيت. يقولوا أمر الله بكل الأخلاق الحسنة وكل العقائد الحسنة وكل المعاملات الحسنة وكل الشريعة الحسنة، ونهى عن كل خلق خبيث وعن كل عقيدة فاسدة وعن كل عمل قلبي فاسد وعن كل مفتاح للفساد، قال لك ابعد عارف: "وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ" الإسراء:٣٢ مش ما تزنوش، لا لا، لا تقربوا من بعيد، يعني ما تاخدش الباب اللي يؤدي بك إلى الزنا، أعاذنا الله وإياكم من الكبائر، وعافانا الله وإياكم من البلاءات، فهنا يا جماعة ربنا بيقول: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ هنا اكتمل الدين، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وتمام النعمة بكمال الدين، إن أحيانًا الناس بتتخيل إن تمام النعمة بتمام الدنيا، تمام النعمة عند كتير من الناس معاها فلوس حلوة، عندها بيت كويس، عندها قصر حلو، عندها شكل جميل، عندها حاجات بتتمتع بها في الدنيا جميلة، عندها أعمال كبيرة، فهي هنا دي بقت حاسة إن النعمة تمت، لا يا جماعة، تمام النعمة بكمال الدين، تمام النعمة بالدين، عارفين لما النبي –عليه الصلاة والسلام– لما غضب الأنصار لمّا قسم النبي –صلى الله عليه وسلم– الغنائم بعد فتح مكة؟ فالنبي –صلى الله عليه وسلم– جمعهم وقال: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير؟ وترجعون أنتم برسول الله –صلى الله عليه وسلم–، قال لهم انتم مش راضيين؟ يعني انت زعلان إن فلان خد فلوس أكتر؟ وزعلانة إن فلانة خدت مكانة أكتر، وزعلانة إن فلانة بقت لها أتباع اكتر، وزعلانة إن فلان بقى عندها وجاهة عند الناس أكتر، طب انت مش فرحان إن انت ربنا أنعم عليك بتواضع أكتر، ودين أكتر وصلاة أكتر وسلامة صدر أكتر وإخلاص، قال لهم انتم أتعتبون علي لعاعة من الدنيا أتألف بها قلوب أقوام؟ قال لهم انتم عتبانين علي دنيا! فلوس إيه يا ابني انت وهو اللي بتسألوا فيها؟ أما ترضون إن يرجع الناس بالشاة والبعير؟ قال لهم انتم مش راضيين إن الناس راجعة بالفلوس والغنائم والجمال والخرفان، وانتم راجعين بي أنا! أنا راجع معاكم، أنا الدين.

قال: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون انتم برسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ فقالوا: رضينا برسول الله قَسْمًا، يعني لو اتحط قدامك دينك ولا تبقى غني أكتر، بس جزء من دينك يضيع؟ تحب إيه أكتر؟ انك تكون علاقتك بربنا أقوى وممكن تتخلص من جزء من الدنيا أو تفقد جزء من الدنيا؟ ولا انك ...؟ هيقول لي طب ما اخد الاتنين؛ أبقى أعلى حاجة في الدنيا وأعلى حاجة في الدين، يا عم أنا قلت لك لأ، أنا بقول لك افرض تعارض.

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وهذا من العظيم إن الدين اكتمل، تخيلوا يا جماعة لو الدين ما كنش اكتمل، لو كان الكتاب مفتوح، لو ما كانش لسه الكتاب انتهى، كان كمية التحريف وكمية الأقوال وكمية مساحة الضلال هتبقى كبيرة قوي، لكن هنا أكملت لكم دينكم، يعني أي حاجة انت محتاج تعرفها هتلاقيها بين دفتي هذا الكتاب، "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ" الأنعام:٣٨، "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ" الروم:٥٨، "وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" الإسراء:١٢، كل حاجة انت محتاجها هتلاقيها في الكتاب ده، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي تمت النعمة؛ عظيم النعمة بكمال الدين.

الله يرضى بالكمال، الله يحب التمام، أبو بكر الصديق قال لخالد بن الوليد ضربه في صدره وقال: هنيئا لك التمام أبا سليمان، أبو بكر الصديق بيقول لخالد بن الوليد: ربنا بيحب التمام، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتمه، إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا إيه؟ إن يتمه، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكُمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ"[٧] أو إن يحسنه، يتمه يا جماعة هنيئًا لك التمام، الله يحب التمام، فهنا الله رضي بالتمام، ورضيت لكم الإسلام دينًا، فما لنا لا نرضى بما رضاه الله لنا.

وكذلك وصف الله الأمة بما وصف به نبيها، حيث قال: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" آل عمران:١١٠.

[٧] حسنه الألباني



يبقى يا جماعة النبي –صلى الله عليه وسلم– وُصِفَ بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذه الأمة وصفت بأنها إيه؟ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" آل عمران:١١٠، قال –تعالى–: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ" التوبة:٧١، هنا يا جماعة ربنا –سبحانه وتعالى– بيمدح مجموعة من الناس، مين الناس اللي ربنا بيمدحهم؟ بيمدح المؤمنين والمؤمنات، زي ما مدح النبي –عليه الصلاة والسلام– ووصفه، مدح المؤمنين ومدح الأمة، مدحهم بإيه؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: ولهذا قال أبو هريرة: "كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة"، أبو هريرة بيقول للناس: الأمة دي أفضل أمة ليه؟ لإن انتم أكتر ناس بتدل الناس على الخير، لإن انتم حريصين على الخير، لإن انتم إيجابيين، لإن انتم مسئولين، لإن انتم بتحبوا الناس تبقى في الخير، لإن انتم حريصين على إن الناس تبقى في الخير، انتم أفضل أمة لباقي الأمم، ليه؟ لإن دينكم أمركم بإنكم تحملوا هذا المعروف وهذا الخير للناس، قال: "كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة"، إنك انت حريص انك انت تدخل الناس الجنة، ازاي؟ انك انت تقول لهم ربنا بيحب كذا، وربنا بيغضب من كذا، ربنا بيأمر بكذا وربنا بينهى عن كذا.

فبين –سبحانه– أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم للناس، وأعظمهم إحسانًا إليهم، لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق، وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف، ولا نهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم من لم يجاهدوا.

هنا شيخ الإسلام بيقرر معنى آخر من معاني أفضلية هذه الأمة وأفضلية هذه الرسالة، من ناحية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إيه هي؟ بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أمر بكل معروف ونهي عن كل منكر، وأنه متضمن للأخلاق، وأنه من الأخلاق العظيمة، وأنه من كمال الرسالة، وأنه من معنى الأخلاق ومن معنى الديانة، لكن هنا هو بيتكلم عن معنى تالت في هذا الباب في تفضيل هذه الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمة بالذات عن غيرها، إيه هو؟ بيقول: إن الأمم السابقة لم تؤمر بالجهاد، الجهاد ده يا جماعة تعريفه هو إيه؟ هو مقاتلة المسلمين ضد الكافرين لإعلاء كلمة الله، تلات حاجات قدام بعض: مسلمين، بيقاتلوا كفار، لإعلاء كلمة الله، ده اسمه جهاد، فيه أنواع تانية من الحروب ما اسمهاش جهاد، يعني مسلمين بيقاتلوا مسلمين، ده جهاد؟ لأ ده مش من تعريف الجهاد، كفار بيقاتلوا كفار؟ ده مش تعريف كلمة جهاد، مسلمين بيقاتلوا كفار لأجل دنيا! ده مش تعريف كلمة الجهاد، إنما تعريف الجهاد هو إيه؟ قتال المسلمين ضد الكافرين لإعلاء كلمة الله، اللي هو زي غزوة بدر كده، واضحة صريحة، النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– ممثلًا للإيمان والحق، في مقابل أبو جهل ممثلًا للكفر والباطل، ليه؟ لإعلاء كلمة الله.

هنا شيخ الإسلام بيقرر نقطة مهمة إيه هي النقطة المهمة؟ إن الأمم السابقة لم تؤمر جميعها بالجهاد، لذلك فضل شيخ الإسلام ابن القيم مسألة الدعوة إلى الله على الجهاد، ليه؟ لأن كل الأنبياء أُمروا بالدعوة إلى الله، لكن أمم قليلة أُمرت بالجهاد، زي مين؟ زي قصة طالوت وجالوت، داود –عليه السلام–، ده نبي من أنبياء بني إسرائيل، زي مين؟ زي قصة سيدنا موسى مع الأرض المقدسة، يبقى سيدنا موسى من بني إسرائيل أمر بالإيه؟ بالجهاد، وسيدنا داود من بني إسرائيل أُمر بالجهاد، وسيدنا سليمان أمر بالجهاد مع ملكة سبأ.

يبقى هل الجهاد أمر خاص بالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم–؟ لا، ده أمر كان في الأمم الإيه؟ السابقة، لكن كان فيه ميزة مختلفة أيضًا في هذه الرسالة عن غيرها، إيه هي؟ إن الجهاد في هذه الرسالة ليس فقط للدفاع، إنما دفعًا وطلبًا.

الجهاد نوعين يا جماعة، فيه حاجة اسمها جهاد الطلب وفيه حاجة اسمها جهاد الدفع، الطلب ده يعني واحد عرض الدعوة على الناس زي ما النبي –عليه الصلاة والسلام– كده عرض الدعوة على الناس، الناس رفضت إن حد يسلم، ورفضت إنها تستسلم، ورفضت إنها تستجيب



لكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنعت الناس إنها تستجيب لأمر النبي –صلى الله عليه وسلم–، لذلك كانت الفتوحات الإسلامية لنشر الدين، يعني إيه نشر الدين؟ طب هو ينفع مثلًا واحد يقول لواحد يا تسلم يا أقتلك؟ لا طبعا، الله –سبحانه وتعالى– لا يقبل إسلام المكره، يعني لو يا جماعة لو واحد منافق أظهر الإسلام وهو في قلبه بغض، ربنا –سبحانه وتعالى– يعذبه قال: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" النساء:١٤٥، طب ازاي احنا أمرنا بالجهاد وازاي إن هو لا؟ "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" البقرة:٢٥٦، ده على المستوى الفردي، إن كل إنسان عليه أن يختار، اللي عايز يعبد حاجة هو كل واحد يختار، "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف:٢٩، كل واحد يختار كيف شاء، من المسلمين، عايز يبقى ظالم لنفسه، عايز يبقى سابق بالخيرات، كل واحد حر في اختيار ما يحب، لكنه سيحاسب على ذلك، اومال الجهاد مشروع ليه؟ الجهاد مشروع لحماية الدعوة، الجهاد مشروع لنشر الدعوة، الجهاد لإقامة الدعوة، إن يا جماعة فيه أمور في الدين لن تقوم إلا بالقوة، لأن صراع الحق والباطل صراع مستمر.

هنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير بيقول: وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف ولم ينهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم لم يجاهدوا، يعني فيه أنبياء ماتوا مستضعفين، وهنا هل معنى كده إن هم وحشين؟ لا، خلاص هو بَلَّغ، هو أُمِر بشيء ففعله، سيدنا عيسى رفعه الله إليه، لأنه لم يكن هناك من أتباع عيسى من يدافعوا عن عيسى –عليه السلام–، لكن سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– قيد الله –سبحانه وتعالى– له من ينصره؛ الأنصار، عشان كده لما وقف النبي –صلى الله عليه وسلم– في غزوة بدر وهو يقول للناس: أشيروا علي أيها الناس، فقال سعد بن معاذ: "والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون"، قال له احنا وراك هندافع عنك وهنشيلك وهنحميك.

هنا يا جماعة نقطة مهمة هنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير بيقول: والذين جاهدوا كبني إسرائيل غاية جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم، كما يُقَاتَل الصائل الظالم. يعني واحد اعتدى على المسلمين، واحد راح مثلًا عمل عصابة وقرر إن هو يقطع الطريق على الناس، وأي مثلًا عربية معدية يعمل إيه؟ عصابته تهجم عليهم ويصولوا على المسلمين ويظلموهم ويأخذوا إيه؟ ويأخذوا أموالهم، يسرق بقى العربية يسرق الفلوس ياخد العيال يطلب فدية، ده اسمه الصائل الظالم، الذي يظلم الناس ويعتدي عليهم، ده محارب، عمل إيه؟ عمل عصابة وقرر إن هو يعمل ده بالقوة.

فهنا بيقول إن جهاد الأمم السابقة كان لمجرد الدفع، قال كما يُدَافَع الصائل الظالم، لا لدعوة المجاهدين إلى الهدى والخير ولا لأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال موسى لقومه: "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ" المائدة:٢١، بيقول إن الأمم السابقة لما كانت بتقاتل كانت بتقاتل استعادة أرض، كانت بتقاتل لدفع ظلم، كانت بتقاتل لدفع اعتداء، "قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" المائدة:٢٢، قال: "قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" المائدة:٢٤.

يبقى هنا هو بيقرر إن الأمم السابقة لما كانت أُمرت بالقتال كانت بتقاتل لأجل الإيه؟ لأجل دفع الظلم، لكن أمة الإسلام لما أمرت بالقتال لم تكن فقط لدفع الظلم إنما كانت لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأجل من يعترض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهنا يا جماعة محتاجين نفصل ويعني ده التفصيل الأخير في هذا المجلس، إن الشرع يا جماعة عندنا فيه ٣ أنواع أو فيه ٣ اعتبارات:

– فيه حاجة اسمها شرع يستطيعه كل أحد، اللي هو الشرع الفردي، اللي هو تشريعات فردية، ده جزء من الدين، ده مش محتاج أي حاجة، انت مش محتاج لا سلطة ولا دولة عشان تصلي ولا عشان تصوم ولا عشان تزكي ولا عشان تتصدق ولا عشان تذكر ربنا ولا عشان تقرأ القرآن، انت مش محتاج أي حد غير إنك انت تكون عايز، يعني فيه جزء كبير من الشرع تعرف تطبقه مع نفسك لوحدك، مش محتاج أي حد ولا أي حاجة ولا أي حد هيعترضك أصلًا لو قعدت في بيتكم وقعدت تصلي طول النهار وطول الليل ولا حد هيكلمك، لو انت عايش



في مصر في أمريكا في السعودية في إنجلترا في فرنسا في بلاد الهند في بلاد السيخ، في ناس بتعبد بوذا دين فردي لوحدك، لوحدك تفعل ما تشاء ده جزء من الدين، اللي هي العبادات الفردية، وده يستطيعه كل واحد.

– وفيه جزء من الدين لا يقوم إلا بالمجتمع، زي المعاملات المجتمعية، زي الطلاق والزواج والظهار والبيع والشراء والحلال والحرام في الاقتصاد والربا والأحكام ما بين الناس في المعاملات المالية؛ أحكام اقتصادية وأحكام اجتماعية دي محتاجة مجتمع، يعني ده جزء من الشرع عشان يطبق لازم يكون فيه إيه؟ لازم يكون فيه مجتمع.

يبقى فيه جزء من الشرع، تعرف تطبقه لوحدك، وفيه جزء من الشرع ينفع تطبقه بالمجتمع؛ المجتمع لوحده، المجتمع مش محتاج معه سلطة ولا قوة.

– وفيه جزء من الشرع مش هينفع تطبقه إلا بالسلطة والقوة، زي إيه؟ زي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زي الجهاد، زي القضاء وإقامة الحدود، وإلا هتبقى فوضى، يعني ينفع مثلًا واحد يقرر مثلًا يقول أنا هاجاهد؟ يقول له انت مين عشان تجاهد؟ الجهاد يعني قوة.

ينفع واحد يقرر يقول لك أنا هاقطع إيد السارق؟ تقول له انت مين عشان تقطع إيد السارق؟ بصفتك إيه؟ دي أحكام منوطة بإن المجتمع يصطلح على سلطة لها قوة تستطيع أن تطبق بها الأحكام، وإلا فلو لم توجد هناك سلطة معها قوة تقوم بهذه الأحكام فإن هذه الأحكام تسقط عن هذا المجتمع حتى يقيم هذا المجتمع سلطة تقيم به الأحكام.

يبقى جماعة دي مش تشريعات فردية، ولا حتى تشريعات مجتمعية، إنما تشريعات إيه؟ منوطة بوجود من يطبقها، يقولوا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصفته العالمية، والجهاد وإقامة الحدود وإقامة الأحكام الشرعية من العقوبات والتعزيرات منوطة بوجود الحاكم الذي اصطلح عليه أهل الإسلام، فإذا لم يوجد هذا؛ ده مش تشريع فردي، إنما ده تشريع أممي.

يبقى يا جماعة فيه جزء من التشريعات الإسلامية اسمها تشريعات فردية، وفيه جزء من التشريعات الإسلامية تشريعات مجتمعية، وفيه جزء من التشريعات اسمها تشريعات إيه؟ أممية. أو تشريعات محتاجة سلطة وقوة.

هنا شيخ الإسلام بيقرر إن الأمم السابقة ما كانش عندها ده كله، كان غاية جهادهم إن هو لما ييجي حد يعتدي عليهم يدفعوا عنه، لكن هذه الرسالة أُمرت بالجهاد لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ يستدل على الأمم السابقة، وازاي إن الأمم السابقة ذكرها الله في كتابه الكريم وهي بتعمل الجهاد اللي هو النوع اللي هو بيتكلم على إيه؟ على إن هو يجتلب ما أُخذ منه، اللي هو زي في قصة سورة البقرة: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ –اللي هي قصة طالوت وجالوت– إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – قالوا له قالوا له احنا عايزين ملك نقاتل في سبيله، طب ما انتم معكم نبي، طب ما النبي هو اللي يقودكم، قالوا لا لا لا هم فاهمين إن هم محتاجين قائد في المعركة– ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا –فالنبي قال لهم طب افرض أنا بعت عليكم واحد يقودكم هتسمعوا الكلام؟– قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا" البقرة:٢٤٦، يبقى هنا هم كانوا بيقاتلوا عشان إيه؟ عشان ديارهم وأبنائهم.

فهنا شيخ الإسلام بيستدل على إن جهادهم كان لأجل إيه؟ دفاعًا عن إيه؟ ديارهم وأبنائهم، وده نوع من أنواع الجهاد في الشرع الإسلامي، لكن هناك نوع آخر هو نشر دين الله –سبحانه وتعالى–، منع العوائق أمام انتشار دين الله –سبحانه وتعالى–، تطبيق الجزء الكامل من الدين الذي لن يقوم الدين إلا به، اللي هو إيه؟ اللي هو القوة.

إن يا جماعة الشرع جاء بسنن واضحة، إن مثلًا ليه النبي –عليه الصلاة والسلام– أقام دولة في المدينة؟ لإقامة الأمر الشرعي، لإقامة كلام الله –سبحانه وتعالى–، لإقامة الحدود، لإقامة الجهاد، لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإقامة أمر الله –سبحانه وتعالى–.

طب ليه سيدنا عمر بعث الفتوحات لنشر دين الله –سبحانه وتعالى–؟ لإقامة أمر الله في الأرض، طيب هل أكره النبي –صلى الله عليه وسلم– أحد على الإسلام؟ لا خالص، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام–مات ودرعه مرهون عند يهودي، إيه ده هو كان فيه يهودي موجود



في المدينة في آخر حياة النبي –عليه الصلاة والسلام–؟ آه، كان عايش مع النبي –عليه الصلاة والسلام– والنبي كان بيتعامل معاهم معاملة حلوة جدًا، لدرجة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما احتاج فلوس أو لما احتاج حاجة رهن درعه عند يهودي، طب ليه ما رهنوش عند عبد الرحمن بن عوف؟ لإن كان فيه معاملة عادية خالص، طب ما كان فيه عمرو بن العاص فتح مصر، هو كان فيه ناس في مصر مش مسلمين؟ آه، عادي جدًا اللي عايز يُسلم يُسلم، واللي عايز يكفر يكفر هو حر، لكن هذه الأرض لله –سبحانه وتعالى– ولابد أن يُقام فيها العدل، وهذا العدل لا يكون إلا عدل الإسلام.

هنا شيخ الإسلام بيقوي تقرير أن هذه الأمة فُضِّلَت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تفضيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذه الأمة مختلف عن غيرها:

النقطة الأولانية هي نقطة أنها رسالة عالمية أمرت بكل معروف ونهت عن كل منكر، وهي مختلفة عن الأمم السابقة في أنه كان يُحَرَّم عليها أشياء بظلم منها أو باختيارات شخصية أهل الإيمان فيها.

والنقطة الثانية أن هذا الدين الكامل وأن هذه أخلاق تامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تمام الأخلاق.

والنقطة الثالثة أن الله –سبحانه وتعالى– جعل هناك قوة مصاحبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتم أمر الله –سبحانه وتعالى–، قال وهذا مختلف عن الأمم السابقة التي كانت القوة فيها فقط لأجل الإيه؟ لأجل الدفع، واستدل بذلك على قصة سيدنا موسى مع بني إسرائيل في الأرض المقدسة، وقصة سيدنا داود –عليه السلام– مع طالوت: "قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" البقرة:٢٤٦، فعللوا القتال –عللوا يعني جعلوا سبب للقتال عندهم– بأنهم أُخرِجوا من ديارهم وأبنائهم ومع هذا كانوا ناكرين عما أُمروا به من ذلك، ولهذا لم تحل الغنائم لهم، ولم يكونوا يطئون بملك اليمين، ومعلوم أن أعظم الأمم المؤمنين قبلنا هم بنو إسرائيل، فكما جاء في الحديث المتفق على صحته في الصحيحين عن ابن عباس قال: "خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَوْمًا فَقالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبِيُّ معهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبِيُّ معهُ الرَّهْطُ، والنَّبِيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فقِيلَ: هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، ومع هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيَّنْ لهمْ، فَتَذَاكَرَ أصْحَابُ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقالوا: أمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، –النبي –عليه الصلاة والسلام–قال للناس: إن الأمم عرضت علي وأحيانًا بيجي نبي معهوش حد، وده يا جماعة تسلية للدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، إن انت أحيانًا ممكن تدعو إلى الله وما تلاقيش حد بيسمعك أصلًا، ممكن تدعو إلى الله وما حدش يُسْلِم على إيديك، يأتي النبي وليس معه رهط، يأتي النبي ومعه الرجل والرجلا، نبي نبي؛ واحد ربنا اصطفاه على العالمين على سائر قومه ومع ذلك ما حدش استجاب له، فما حدش يزعل يقول أنا بلغت الدين وما حدش استجاب لي يبقى أنا وحش، لا عادي انت ممكن تبلغ الدين وما تلاقيش حد أتباع لك، وما تلاقيش حد بيسمع قوي، والناس مش مبسوطة قوي مش فرحانة قوي مش مقبلة قوي، عادي ده موجود، فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: إن عرضت علي الأمم لقيت النبي ممكن يكون معاه واحد ونبي معاه اتنين ونبي ليس معه أحد، يأتي النبي ليس معه أحد؛ ولا واحد أصلًا معاه، تخيلوا يا جماعة يعني واحد ربنا اصطفاه عنده أخلاق جميلة وعنده عبادة جميلة وعنده حلم وعنده فهم وعنده عقل وعنده وعي وعنده حسن معاملة وعنده بذل للناس ومع ذلك ما حدش عايز يسلم أصلًا، ولا حد عايز يسمعه أصلًا، يأتي النبي ليس معه أحد، بيقول: لحد ما لقى مجموعة كبيرة من الناس سدت الطريق؛ الطريق مليان ناس، قلت دول بقى أمتي، النبي –عليه الصلاة والسلام– فرحان، فيقولوا لأ لأ، هؤلاء نبي الله موسى وبنو إسرائيل دول أتباع موسى –عليه السلام– دول اليهود من أتباع موسى –عليه السلام–، فبعد كده النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: عرض علي الناس فلقيت بقى على اليمين سواد كبير عدد كبير من الناس ولقيت عن الشمال عدد كبير من الناس قلت إيه؟ من هؤلاء؟ فقالوا هؤلاء أمتك؟ وبعدين بيقول بقى



والنبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول ومعهم سبعون الف يدخلون الجنة، فيه سبعين ألف واحد هيدخلوا الجنة، فالصحابة قعدوا يفكروا كده، يا ترى مين السبعين ألف؟ فواحد من الصحابة قال لهم: أكيد الناس دي اللي ما عملتش معاصي خالص، ما هو احنا كنا بنعبد الأصنام، الصحابي بيفكر بقى بيقول لهم احنا كنا بنعبد الأصنام وبنزني وبنقتل وبنعمل حاجات كتير حرام، احنا عشنا الشرك، أكيد بقى الناس اللي هتخش الجنة دي السبعين ألف من غير حساب، أكيد دول ولادنا اللي هم طلعوا لقوا الدين إيه؟ لقوا الدين كله إسلام، ما شافوش شرك خالص، فتذاكروا ذلك، فقال بعضهم:– أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ –يعني من السبعين ألف اللي هيدخلوا الجنة هم بيفكروا يعني بيقترحوا– أبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَالَ: –المعيار لا معيار إنك اتولدت في الإسلام ولا اتولدت في شرك إنما المعيار اللي حقق الإخلاص لله –سبحانه وتعالى– هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الناس اللي ما بتتشائمش بالأحداث وقاعدة تربط كل حدث أصل فلان ده بومة وفلانة دي عملت لي كذا، الناس اللي بتتوكل على الله –سبحانه وتعالى–، اللي عندهم توحيد النفع والضر، يسترقون يعني يطلبوا الرقية من الناس، هو طلب الرقية حرام؟ لا مش حرام، لكن هنا النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول الناس اللي هتدخل الجنة اللي عندهم تمام التوكل على الله –سبحانه وتعالى–، تمام التوكل على الله –سبحانه وتعالى– إن هم لا بيطلبوا إن حد من الناس ينفعهم ولا بيطلبوا إن حد من الناس يضرهم ولا رابطين بين النفع والضر بأفعال الناس، يعني اللي هو لما يحصل له نفع وضر يقول قدر الله وما شاء فعل، هو يتوكل على الله –سبحانه وتعالى– ويعلم إن الأمر من الله –سبحانه وتعالى– ويعلم إن كل بلاء نزل به الله ابتلاه به ليرى منه عبودية معينة، وكل نعمة ربنا أنعم بها عليه ليرى منه إيه؟ شكر معين.

فهو متوكل على الله –سبحانه وتعالى–، فَقالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقالَ: أمِنْهُمْ أنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ عكاشة بن محصن صحابي من صحابة النبي –عليه الصلاة والسلام–، فقال للنبي –عليه الصلاة والسلام–هو أنا ينفع أبقى منهم؟ قال النبي –صلى الله عليه وسلم– أنت منهم، قَالَ: نَعَمْ. فَقَامَ آخَرُ فَقالَ: أمِنْهُمْ أنَا؟ فَقالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَاشَةُ"، هنا النبي –عليه الصلاة والسلام–الراجل بيقول له أنا منهم؟ قال له انت منهم. التاني قام قال له طب أنا كمان؟ قال له خلاص هو عكاشة بقى هو اللي منهم.

الحديث ده استدل به شيخ الإسلام على إن الأمم السابقة وأعظم الأمم السابقة بني إسرائيل من بعد هذه الأمة، وإن بني إسرائيل ربنا ذكرهم في الكتاب كتير وإن هذه الأمة مختلفة عن الأمم السابقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ –ليه؟– تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ" فهذه الأمة هي خير الأمم وهذه الأمة فضلت على سائر الأمم، ورسالة هذه الأمة خير من جميع الرسالات، وأفضل الكتب السماوية على الإطلاق هو كتاب الله –سبحانه وتعالى– القرآن الكريم.

قال: ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة، لأن الله أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو إخبار عن الله أو خلقه بباطل لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح، بل الآية تقتضي أن ما لم تأمر به الأمة فليس من المعروف وما لم تنهى عنه فليس من المنكر.

يبقى يا جماعة هنا بيقرر أن هذه الأمة فضلت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا كان إجماع الأمة حجة. الإجماع يا جماعة من أحد مصادر الحجية عند أهل السنة والجماعة، اللي هو الإجماع، يقولوا إجماع الصحابة، إن هم أجمعوا على شيء، فهو شيخ الإسلام بيقول ليه؟ لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فبالتالي لو أجمعوا على شيء يبقى الشيء ده معروف، ولو أجمعوا على النهي عن شيء يبقى الشيء ده من الإيه؟ من المنكر، ليه؟ لإن ربنا فضلهم بالإيه؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو أنهم أجمعوا على منكر يبقى هم كده خالفوا الإيه؟ التفضيل، فكان مقتضى هذا تكذيب القرآن، لذلك فبيقول من مقتضى تصديق هذه الآية إن الإجماع حجة.

أقف عند هذا الحد واقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيرا والسلام عليكم ورحمة الله.

